الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي التبسي- تبسة-

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تجليات التراث في رواية " خطيئة مريم " لعلاوة كوسة – قراءة تأويلية –

مذكرة مكلمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي (LMD)
تخصص: نقد حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:
- بثينة فرحي
- زهية بخوش

إشراف الدكتور:
رضا زواري

أعضاء لجنة المناقشة :

الرقم	الإسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
01	عبد الخالق بوراس	أستاذ محاضر " أ "	جامعة العربي التبسي – تبسة -	رئيساً
02	رضا زواري	أستاذ محاضر " ب"	جامعة العربي التبسي – تبسة -	مشرفا ومقرّرا
03	عبد الوهاب خالد	أستاذ مساعد " أ "	جامعة العربي التبسي – تبسة -	مناقشاً

السنة الجامعيـــــة: 2021/2020

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢ ﴾

صدق الله العظيم

سورة البقرة (٣٢)

شكر وتقدير

الحمد لله الذي بمعيته نبصر في الظلمات وبفضله نجتاز كل العقبات وبتوفيقه نبلغ الغايات فأول من هو أحق بالشكر والحمد هو الله سبحانه و تعالى، فالحَمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه.

والصلاة والسلام على النبي الأمي الذي قرأ مرة بالله ومرة بمعيته وجعل العلم هو مفتاح الفوز في الدارين.

لا تفوتنا في هذا المقام الكريم أن نرفع كلمة شكر وامتنان وتقدير وإجلال لأهل الفضل الذين قدموا لنا يد العون والمساعدة.

ونخص بالذكر الأستاذ المشرف والقدير **رضا زواري** الذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجهاته وتشجيعه.

كما نتقدم بشكرنا للجنة المناقشة على تفضيلها بمناقشة وتصحيح ليرتقي إلى المستوى العلمي المنشود.

كما نتقدم بالشكر إلى جميع أساتذتنا الأفاضل في قسم اللغة والآداب العربي بجامعة العربي التبسي – تبسة - .

ونشكر كل من ساعدنا من بعيد أو قريب ولو بكلمة طيبة.

مقدمـــــــــة

يعد التأويل استراتيجية لفك شفرات الخطاب الأدبي وقراءة التشكيلات الثقافية والفكرية التي يحملها الإبداع داخل الأنساق التي يتشكل منها، كما تسمح آلياته للدارس بحفر الدلالات العامة والخاصة.

والرواية كجنس أدبي, قد تفردت بخصائص نوعية مكنتها من حمل تمثيلات بشرية من الواقع في سطورها داخل أنساق ثقافية وإنسانية، فالنص الروائي يشي بالكثير من البنى المعرفية والفكرية التي يمكن الوقوف عليها والكشف عنها من خلال سبر أغوار النص والكشف عن جيولوجيته النسقية الفكرية والثقافية والأيديولوجية.

ومن هنا كان علينا اختيار مدونة بحثية تتلاءم ودراستنا التأويلية وآلياته حيث وقع اختيارنا على رواية "**خطيئة مريم**" – لعلاوة كوسة – التي تتسم بالاتساع والعمق الذي يقتضي بطبيعة الحال إجراء التأويل، وهذا ما جعلنا نختارها للدراسة لتكون بحثا موسوما بـ: "**تجليات التراث في رواية خطيئة لعلاوة كوسة**".

لم يكن الدافع العلمي فقط ما شكل حافزا لنا في اختيار هذا الموضوع للبحث، بل كان هذا الاختيار لأسباب ذاتية: تتمثل في رغبتنا في دراسة العمل الروائي.

أما الأسباب الموضوعية تمثلت في:

- محاولة إثراء المكتبة بقراءة تأويلية للدراسة .
- محاولة بيان الأنساق المضمرة القابعة في النسق اللغوي لرواية "**خطيئة مريم**".
- محاولة تطبيق مقاربة تأويلية.

واستنادا ما تقدم نجد المدونة قد تأثثت بتعدد البنى والمكونات حيث استطاع الراوي الولوج إلى عوالم استدعى فيها التراث ليخرج عن النمطية المتداولة وفي هذا السياق تظهر إلحاحات قراءة هذا المتن الروائي مطلبا علميا يتساوق مع طرح الإشكال الآتي: كيف تجلى التراث في رواية "**خطيئة مريم**" لـ "**علاوة كوسة**" ؟ كيف نقرأ ونؤول هذه الرموز التراثية وفك شفراتها ؟

وقد فرض علينا موضوع الدراسة استراتيجية التأويل الذي اعتمدناه كآلية في بحثنا لأننا ارتأينا محاولة الكشف عن سبر أغوار النص والبحث عن الأنساق المضمرة داخل المتن الروائي.

وصمم هذا البحث على نحو يتضمن فصلين:

الفصل الأول: تحت تأسيس نظري بعنوان " **في ماهية التراث** " مقسم إلى ثلاثة أجزاء؛ الجزء الأول موسوم بـ: **مفهوم التراث (لغة، اصطلاحا، الدراسات الأجنبية الحديثة، مفهوم التراث في النقد العربي المعاصر)**، الجزء الثاني تحت عنوان: **عناصر التراث (التراث المادي والتراث غير المادي)**. أما الجزء الأخير فاحتوى على عنصرين تمثلا في : **التراث والرواية، التراث والتأويل.**

الفصل الثاني: تحت تأسيس تطبيقي بعنوان **تجليات أشكال التراث في رواية "خطيئة مريم" – لعلاوة كوسة –** مقسم إلى ثلاثة أجزاء **(التراث الديني، التراث الشعبي، التراث الصوفي).**

وقد تضمن البحث خاتمة خصصت لجمع ما تفرق، وإجمال ما فصل فقد كانت بمثابة حوصلة لما تقدم وتعداد لأهم النتائج المتوصل إليها.

استعان البحث في مسيرته بمجموعة من المصادر والمراجع فكانت خير سراج يستنير به، وقد اعتمدنا على مجموعة منها:

- كتاب محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة.
- كتاب علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر.

ولأن أي عمل بحثي لا يخلو من عوائق وصعوبات فقد واجه هذا البحث عدة صعوبات أبرزها:

- تعدد أشكال التراث وغناها في الرواية مما صعب علينا الإلمام بها جميعا.
- صعوبة تطبيق استراتيجية التأويل في تجليات التراث.

ختاما اسمى عبارات الشكر والامتنان الموصلة إلى كل من أعاننا لإتمام هذا البحث، خاصة الدكتور"**رضا زواري**" الذي أشرف على بحثنا وقدم لنا توجيهاته وإرشاداته .

كل الشكر والتقدير لأعضاء اللجنة، لجنة المناقشة الذين قبلوا مناقشة هذا العمل وأغدقوا علينا من ثمين وقتهم للوقوف على مجمل الأخطاء الواردة في البحث لمعالجتها، آملين أن تكون في حسن ظنهم والله المستعان.

الفصل الأول

في ماهية التراث

يشكل التراث بعامته ذاكرة الشعوب وبدونه تكون الأمة أشبه بشجرة بلا جذور، نافذة للمعالم التي بها تهتدي في مسارها الحضاري كلما كانت الأمة عريقة كان تراثها المتراكم كبيرًا وعميقًا، ولما كان التراث هو خلاصة وعصارة الأمم فكان بحق مادة وأداة مهمة للأدباء عامة والشعراء خاصة في إبداعاته وتوظيف التراث أصبح ميزة من أهم ميزات الرواية المعاصر لأنه يعد بمثابة وعاء كبير يحمل ثقافة لا تعد ولا تحصى عن الشعوب والحضارات إذ يعبر عن حياتها في كافة المجالات ويتطرق إلى الحديث عن واقعها بأحزانه وأفراحه.

وقد أخذ التراث حيزا كبيرا من الاهتمام لدى الدارسين الباحثين فقد أضحى توظيفه في الرواية العربية من أهم الموضوعات التي انشغل بها مختلف الباحثين، وقبل الحديث عن هذا الحضور وتجلياته وجب علينا البحث عن مدلوله اللغوي في المعاجم العربية.

اختلفت مفهومات التراث في المعاجم وتعددت في الدراسات العربية والأجنبية، وقد فرضت علينا هذه الاختلافات العودة الى المصطلح وتحديد معناه لغة واصطلاحا.

I. مفهوم التراث

التراث اسم مشتق من مادة " **ورث** " ولشرح معناه لابد من الرجوع إلى بعض المعاجم أهمها: " لسان العرب " لابن منظور والقاموس المحيط ومعجم الوسيط مع الاستناد إلى النّص القرآني .

1. لغة:

وردت لفظة التراث في المعاجم اللغوية القديمة بمعنى "الإرث" أو "الميراث"، كما جاء في " **لسان العرب** " "**لابن منظور**" بأن: « الوِرْثُ والوَرْثُ والإرَاثُ والوِراثُ والتراثُ واحد والميراث أصله مِوْراثٌ انقلبت الواو ياء كسر ما قبلها والتراث أصل التاء فيها واو »[1] .

وردت كلمة **(الوارث)** في القرآن الكريم صفة من صفات الله عز وجل وهو الباقي الدائم الذي يرث الخلائق ويبقى بعد فنائهم، والله عز وجل يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين أي يبقى بعد فناء الكل، وهذا ما تؤكده الآية الكريمة بعد قوله تعالى:﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩﴾ **سورة الأنبياء(٨٩)**

أما **(الميراث)** فقد وردت الكلمة في قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٨٠﴾ **سورة آل عمران (١٨٠)** وتفيد أنه يرث كل شيئ فيهما لا يبقى منه باق لأحد من مال وغيره .

[1]– **ابن منظور**: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مجلد 2 ، ط02، 1992 ، ص 199.

كما تضمنت مفردة (**وَرَثَ**) في قاموس المحيط بمعنى "**الإرث**" الذي يتركه الأب لأبنائه في قوله: « وَرِثَ أبَاه منه بكسر الراء، يَرِثَهُ، وِرْثاَ و وراثَةً، وإرثاً ورثَةَ بكسر الكل، وورَثهُ جعله من وَرَثيه، والوارثُ: الباقي بعد فناء الخلق، وفي الدعاء: " أمتعني بسمعي وبصري واجعله الوارث مني " أي أبقه معي حتى أموت»[1]

أما معجم الوسيط فيعرفه على أنه مشتق من مادة (**وَرَثَ**): « وَرَثَ فلان المالَ، ومنه، وعنه (يَرِثَهُ) وِرْثًا، ووَرْثاً، وإِرْثاً، ورِثَة، ووِراثة: صار إليه ماله بعد موته و يقال: وَرِث المجدَ وغيرهَ، وورِث أَباه مالَه ومجده: ورِثه عنه، وَرَثَ فلان: جعله من وَرَثَ (توارثوا) الشيء الذي ورثه بعضهم من بعض والإرث(مَاوَرَثَ) فلان من فلان: جعل ميراثه له ».[2]

ومن خلال هذه المعاجم العربية نفهم أن كلمة (**التراث**) مأخوذة من مفردة (**وَرَثَ**) والذي يصب معناها في الإرث والميراث والتراث.

إن هذه المفاهيم لاتخرج عن نطاق ما يكسبه الإنسان من نصيب مادي، فالإرث إذن هو ما يتركه الأب لأولاده، أما التراث ما يتركه السلف للخلف.

2. اصطلاحا:

لقد وردت لفظة التراث بمعاني مختلفة ومتعددة وهو ما ارتبط عموما بما يخلفه الآباء لأبنائهم بعد موتهم، وهذا ما يعتقد به قديما، أما في عصرنا الحديث فقد اختلفت معانيه وعلى هذا الأساس اختلف الدارسون فنجد:

ويعرفه "**جبور عبد النور**" بأنه « ما تراكم من خلال الأزمنة من تقاليد وعادات، وتجارب وعلوم في شعب من الشعوب وهو جزء أساسي من قوامه الاجتماعي والإنساني،

---

[1]- **مجد الدين يعقوب الفيرور آبادي**: القاموس المحيط، تدقيق محمد نعيم العرقوسوسي، مجلد1،دمشق،1998،ص177.

[2]– **إبراهيم مذكور**: مجمع اللغة العربية، دار مكتبة الشروق الدولية، معجم الوسيط، د .ط، 2008، ، ص 1024.

السياسي، التاريخي، والخلقي، ويوثق علائقه بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا التراث وإغناءه»[1].

من خلال التعريف يبين "جبور عبد النور" أن "التراث" مادة غزيرية شاملة لكل مجالات الحياة فهو يمس حياة الإنسان ويعبر عن ثقافة الشعب وتطورها من عادات وتقاليد وتجارب وفنون وعلوم، فهو الذخيرة القومية التي خلفها أجدادنا.

واتسع هذا المصطلح ليشمل أدب الأمة العربية ليعبر عن إحساسها ووجدانها.

ويقدم **رمضان الصباغ** تعريفا له، فهو: «الموروث الثقافي والديني والفكري والأدبي والفني وكل ما يتصل بالحضارة أو الثقافة، وتراثنا هو الموروث عن السلف سواء كانوا ممن يقطنون نفس المنطقة أو غيرها، أي أن تراثنا هو الموروث في كل أنحاء العالم، القصص، الحكايات، الكتابات، وتاريخ الأشخاص وما ظهر من قيم، وما عبر عن هذه جميعا من عادات أو تقاليد وطقوس »[2]. وانطلاقا من هذا التعريف التراث هو كل ما ورثناه من كل الأجيال السابقة فهو يشكل تراثا حيا بالنسبة لنا والأقرب الى أنفسنا فهو يمثل تحديدا للوعي الثقافي العام.

من خلال هذين التعريفين نخلص إلى أن التراث هو كل ما وصلنا من الماضي داخل الحضارة السائدة معنا فهو عبارة عن مجموعة الانتاج الفكري والحضاري والتاريخي الذي ورثته الإنسانية جمعاء من عادات وتقاليد وفنون وآداب، وهو مجموع ما يخلفه السابقون للاحقين من أبناء الأمة.

---

[1]– **جبور عبد النور**: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1984، ص63.

[2]– **رمضان الصباغ**: في نقد الشعر العربي المعاصر، دراسة جمالية، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2002، ص 368.

3. مفهوم التراث في النقد العربي المعاصر:

لقد تعددت تعاريف التراث في هذا العصر واختلف الدارسون في تحديد معناه ويقدم "**محمد عابد الجابري**" تعريفا له بأنه كل ما هو: « حاضر فينا أو معنا من الماضي سواء ماضينا أو ماضي غيرنا، سواء القريب منه أو البعيد»[1] يشير هذا التعريف إلى أن التراث ليس هو ما ينتمي إلى الماضي البعيد فحسب بل هو أيضا ما ينتمي إلى الماضي القريب، ويواصل "الجابري" تعريفه بقوله أنه: « الجانب الفكري في الحضارة العربية الإسلامية: العقيدة الشريعة اللغة الأدب الفن الكلام الفلسفة والتصوف»[2] فقد ارتبط التراث عند الجابري بالناحية الفكرية فقط.

ويضيف "**غالي شكري**" بأنه: « جامع التاريخ المادي والمعنوي للأمة منذ أقدم العصور إلى الآن »[3] .

قدم "غالي شكري" مفهوما أوسع وأشمل للتراث لأنه جمع بين التاريخ المادي والمعنوي عبر مراحل متتالية من العصور، فنجد فيه إضافة عن التعريف الذي قدمه الجابري.

ومما سبق يتضح لنا أن التراث هو كل ما وصل الينا من الماضي القريب أو البعيد من ثقافة عربية اسلامية (العقيدة، الشريعة، اللغة، الأدب، الفن، الفلسفة، العادات، التقاليد)، أو أجنبية .

فالتراث يعبر عن هوية الأمة لأنه جزء منها فلا يمكن أن تؤسس نهضتها على تراث آخر غير تراثها لأن التراث يختزن امكانات النهوض والإبداع في حياة الأمة.

---

[1] – **محمد عابد الجابري**: التراث والحداث (دراسات ومناقشات)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص45 .

[2] - **المرجع نفسه**، ص35

[3] – **غالي شكري**: التراث والثورة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1973، ص 18.

II. عناصر التراث

فالتراث كما أسلفنا الذكر هو خلاصة ما تخلفه الأجيال السابقة للاحقة، أو ما يخلفه الأجداد للأحفاد فالتراث بمثابة الجذور في الشجرة، كلما غاصت وتفرعت كانت الشجرة أقوى وأثبت وأقدر على المواجهة.

والتراث بمعناه الواسع كل ما خلفه السلف للخلف من ماديات ومعنويات، ومنه يمكن تقسيم التراث إلى قسمين التراث المادي والتراث المعنوي.

1. التراث المادي:

يتمثل الشق الأيمن للتراث فيما يخلفه الأجداد من آثار ظلت باقية من «منشآت دينية وجنائزية كالمعابد والمقابر والمساجد، ومبان حربية مثل الحصون والقلاع والحمامات، والسدود، والأبراج، والأسوار، والتي تعرف في لغة الأثريين بالأثار الثابتة إلى جانب الأدوات التي استخدمها الأسلاف في حياتهم اليومية، والتي يطلق عليها الاثريون الآثار المنقولة».[1]

اذن فالتراث المادي هو الذي يكمن في تلك الملموسات والماديات التي بقيت محافظة على شكلها طول الفترة الزمنية، ولا يقتصر التراث المادي على المباني والعمران بل يتجاوز ذلك ليصل إلى عمق الشعب من لباس ومأكل وما يتصل بالسلوك وطرق التعامل والحفاظ عليها بشكل أمثل لأجيال المستقبل.

2. التراث غير المادي (المعنوي)

يتجلى التراث غير المادي في كافة المظاهر غير المادية، وغير الملموسة في تشكيلات وتنويعات التراث الإنساني، وتم تعريفه في "**اتفاقية صون**" 2003 بأنه

[1]– **علي عفيف علي غازي**: التراث المادي والمعنوي ، تاريخ الاطلاع 2021/04/15، على الساعة 13:45، https://fikrmag.com/article_details.php?article_id=316

«الممارسات والتطورات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات وما يرتبط بها من آلات وقطع ومصنوعات أماكن ثقافية والتي تعدّها الجماعات والمجموعات، وأحيانا الأفراد جزءا من تراثهم الثقافي وهذا التراث الثقافي غير المادي المتوارث جيلا عن جيل، تبدعه الجماعات والمجموعات من جديد بصورة مستمرة بما يتفق مع بيئتها وتفاعلات مع الطبيعة ومع تاريخها»[1]، حيث يعرف هذا النوع باسم التراث الشعبي الذي يشمل عادات وتقاليد الناس وأفكارهم ومشاعرهم من الحكايات، الأشعار، القصائد، الأساطير، وأنواع الرقص والأمثال والألغاز والاحتفالات والأعياد. وهذا التراث غير المادي المتوارث جيلا عن جيل تبدعه الجماعات والمجموعات من جديد بصورة مستمرة، فهو ينمي لديها الإحساس بهويتها ويعزز من ثم احترام التنوع الثقافي والقدرة الابداعية، فتكتمل هوية الانسان بالتراث سواء كان ماديا أو معنويا، فهو ضرورة إنسانية، وأحد ركائز الهوية التي بدونها يصبح الإنسان كالريشة تتقاذفها الرياح، والتراث بشقيه يكتسب يوما بعد الآخر أهمية من كونه مصدر للفخر بحضارات الأجداد فهو «ميراث المقتنيات المادية وغير المادية التي تخص مجموعة ما أو مجتمع لديه مورثات من الأجيال السابقة، وظلت باقية حتى الوقت الحاضر ويعمل على نقلها للأجيال المقبلة» [2].ومن ثم يعد الحفاظ على التراث والعمل على تنميته خيارا استراتيجيا للدول العربية، التي تنعم بتاريخ طويل وممتد في حضارات عظيمة أوجدت لنفسها مكانة سامية، وتقف شواهدها شامخة، منذ عصور ما قبل التاريخ، والحفاظ عليه ضرورة لها، خاصة وهي تنظر بأمل تستشرق أفاق المستقبل.

[1]– **طلال معلا:** التراث الثقافي غير المادي، تراث الشعوب الحي، مركز دمشق للأبحاث والدراسات، سوريا، العدد04، 2003، ص07.

[2]– **إتفاقية حماية التراث الثقافي غير المادي اليونسكو:** التراث السوري، الأمم المتحدة، بيروت، 2018، ص: 06.

III. التراث والرواية

1. علاقة التراث بالرواية:

تعد الرواية (ملحمة العصر الحديث والمعاصر) أكثر الأجناس الأدبية التصاقا بالتراث وأوثقها صلة به. شأنها شأن أي نص كيفما كان جنسه أو نوعه تتفاعل مع مختلف النصوص مهما كانت طبيعتها. ونقصد من وراء التفكير في علاقة التراث بالرواية أن تتساءل عن طبيعة هذه العلاقة ونوعيتها؟

فنجد أن هذه العلاقة بين التراث والرواية « قد تحولت من رابطة سطحية شكلية إلى رابطة حتمية لاغنى عنها وقد ازدادت هذه الرابطة عندما لاحظ الكتاب أن تراثهم القصصي قد تناوله الغرب واستعانوا به في بعض إنتاجاتهم فقويت هذه الرابطة وتأكدت»[1].

حيث كانت علاقة التراث بالرواية بداية بسيطة تتصف بالاستئناس بالتراث وانتهت بالاعتماد على التراث، بل جعلت بعض أشكال القصص القديم أشكالا روائية خالصة وزادت على ذلك رفضها التبعية الروائية الغربية، فأصبحت الرواية قائما في أساسها على تعدد النصوص وتداخل أشكالها، ولم تعد ممثلة لصنف محدد من الكتابة بل صارت ممثلة لتقاطعات أجانبية متنوعة تمتزج فيها الأنواع والأصناف.

[1]– **حسن علي المخلف:** التراث والسرد، وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر إدارة البحوث والدراسات الثقافية، ط01، 2010، ص 23.

IV. التراث والتأويل:

استعمل مفهوم التأويل منذ القدم في أغلب الصراعات الفكرية التي هيمنت على مختلف العصور، إذ نجد لها معاني عديدة في المعاجم والقواميس العربية، كما جاء عند "**محمد الزبيدي**" في كتابه "**تاج العروس**" « أول الكلام وتأوله فيعني: دبره وقدره، وأوله وتأوله أي : فسره، وقال بعضهم التفسير كشف المراد من اللفظ المشكل والتأويل رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر »[1] فالتأويل يعني الرجوع والمآل، والتفسير والتدبير، والوضوح.

التأويل في أبسط معانيه يعني « قراءة النص أو مقاربة مقاربة لا تتحكم فيها الفرضيات الخاصة بالقراءة المنبثقة من معطيات النص أولا زمن قدرات المؤول ثانيا، والتأويل في أوسع معانيه هو القراءة بمعناها الواسع نقدية أو أيديولوجية»[2] فالتأويل أشمل من القراءة ولا يتقيد بقواعدها.

وقد اعتبر "**غادامير**" (Gadamer)[3*] القراءة « تجربة وجودية مع النص المقروء، فمن خلالها لا تتجلى الحقيقة كمضمون في ذاته ولذاته، بل ككشف وانفتاح جديد على العالم»[4] وإلا فستكون القراءة غير موجهة تحصيل حاصل لا تؤدي إلى معنى لأن القارئ يقرأ من غير أن يوجه النص نحو معنى معين لتحقيق هدف، حيث أن قراءة النص تختلف من قارئ إلى قارئ مما يجعلنا أمام قراءات تختلف باختلاف المرجعيات والأسس النظرية.

---

[1]– **محمد الزبيدي**: تاج العروس من جواهر القاموس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت (لبنان)، ج7، فصل الهمزة من باب اللام، ص215.

[2]– **مجدي وهيبة**: كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984، ص141.

[*]– **هانز جورج غادامير**: فيلسوف ألماني ولد في ماربورغ، 1900م–2002م، من أشهر أعماله الحقيقة والمنهج(1960م واضاف له الجزء الثاني عام 1986م).

[4]– **حميد لحميداني**: القراءة وتوليد الدلالة (تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، ط1، 2003، ص295.

إن التأويل ينفتح على «الفهم» فهو «يستعمل عندما يعمل لا يلغو فقط، أي لا يقول رموزا وإنما يؤول أي أنه يبحث عما هو الأسس والأصل »[1] فهو يستعمل آليات ومفاتيح لغوية وإبستيمولوجية في إدراك حقيقة هذا التراث بفهم أجزائه ومكوناته، وإدراك حقائق هذه الأجزاء والمكونات في سبيل فهم التراث برمته، فالتراث ينخرط بكل إمكاناته وكموناته الدلالية والرمزية والتأويلية والتاريخية.

فتمثلت العلاقة بين التأويل والتراث في قراءة التراث من كل جوانبه الأدبية والرمزية والفنية والفلسفية والروحية؛ أي فهم محتوياته النظرية ومضامينه الرمزية.

[1]– **مطاع صفدي**: استراتيجية التسمية، في نظام الأنظمة المعرفية، منشورات مركز الإنماء القومي، بيروت، ط01، 1986، ص: 224.

الفصل الثاني

تجليات أشكال التراث في رواية "خطيئة مريم " – لعلاوة كوسة–

تنوعت قصائد وروايات الشاعر والأديب "علاوة كوسة" من مدح وذم وحزن وألم، فقد تأثّر كغيره من الأدباء بالقرآن الكريم تأثرا بالغا وبالحديث الشريف من خلال ما جاء في رواية "خطيئة مريم" من إشارات وتلميحات تحمل معاني القصص الديني، وألفاظ ترتبط بالفكر الديني، مستلهما من التراث الديني ركائز يتكئ عليها في روايته.

I. التّراث الديني:

1. قراءة تأويلية لعنوان الرّواية استنادا لقصّة مريم عليها السّلام:

إن العنوان أول ما يلفت انتباه القارئ عندما تقع عيناه على رواية ما، حيث يعد العنوان البؤرة المركزية لعملية الإبداع والعتبة النصية الأولى التي تجذب القارئ، وتحرك فضوله، وتغويه لولوج متاهة الخطاب الروائي بكلّ تعرجاته الإبداعيّة والفنيّة، « وهو أول لقاء بين القارئ والنص»[1] كما يعتبر مفتاح إجرائي يمدنا بمجموعة من المعاني التي تساعدنا في فك شفراته، وقد صنف "جيرار جينيت" **(Gerard.Genett)** العنوان : «ضمن فضاء النص الموازي أو ما يعرف بالمناص في إطار حديثه عن أنماط التعالي النصي»[2]

لذا ركزت الدراسات الحديثة عليه، وأصبح كل أديب يعتني به لأنّه هو المفتاح الرئيسي للنّص الإبداعي.

فالقارئ لعنوان هذه الرواية الموسومة ب "خطيئة مريم " "لعلاوة كوسة " يجد أنها تحمل معاني عديدة ، فبإمكاننا أن نقدم له أكثر من قراءة ، فهو يقتضي قدرات عالية و مهارات لفك الرموز و الشيفرات مما يستوجب اللجوء إلى علم التأويل .

---

[1]– **عبد الله الغذامي**: الخطيئة والتكفير(من البنيوية الى التشريحية)، النادي الثقافي الأدبي، السعودية، جدة، ط4،1998 ص: 263.

[2] - **سعيد يقطين**: إنفتاح النص الروائي (نص- السياق) المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1989، ص96.

فالعنوان " خطيئة مريم " يفتح باب التساؤل و النقاش و الاستفسارات التي تثير في الذهن جملة من الاحتمالات و التأويلات التي أراد الراوي ان يبلغها من خلال عملية بالإجابة عن الاشكاليات الآتية :

- ✓ كيف يمكن قراءة "الخطيئة " من منظور تأويلي ؟
- ✓ ما هي الدلالات التي يمكن للمسار التأويلي أن يقدمها في كلمة "مريم " ؟
- ✓ كيف يمكن قراءة "خطيئة مريم " منظور تأويلي ؟

أ- **دلالة كلمة "خطيئة " :**

فبداية يمكننا القول أن الراوي استعان بقصة مريم عليها السلام فوظف لفظة "خطيئة" التي دارت حولها أحداث هذه القصة، لإبراز حقيقة الحياة التي عاشها ممثلا إياها في قصته .

إذ نجد ذلك متجليا في سورة مريم عليها السلام في قوله تعالى : ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ **سورة مريم (٢٧)**، فقد اتهمها قومها بارتكاب الخطيئة و الفاحشة و افتروا عليها بهتانا و زورا ، أما عيسى في نظرهم فهو نتاج خطيئة .

و السؤال الذي يطرح نفسه لماذا وظف الراوي "علاوة كوسة " لفظة "خطيئة " و لم يوظف لفظة "خطأ" ؟ و ما الغاية من توظيفه لها ؟

نعيش مع دلالات كلمة "خطيئة " فكلمة خطيئة هي الذنب أو المعصية التي يكون ارتكابها في حالة العمد و يترتب عليها إثم مرتكبها الذي يتحمل فعلته، وقد وظف الراوي لفظة خطيئة لأن مريم عليها السلام قد ارتكبت الخطيئة عمدا في نظر قومها وكذلك مريم في الرواية ارتكبت الخطيئة عمدا في نظر مجتمعها، فالمجتمع يحمل المرأة وحدها الخطيئة دون الرجل، لكن يجب على كلاهما أن يتحملا إثم الخطيئة، فالعلاقة غير شرعية بين الرجل والمرأة تؤدي إلى ما لا يحمد عقباه « **ولحظة متعة بين رجل وامرأة خلقت كلّ هذا الشرّ**

والشّقاء؟!!»[1] في محاولة جريئة منه يلمس علاوة كوسة واقع اجتماعي نعيشه اليوم يتمثل في حادثة اجتماعية من أجل توعية المجتمع ونصحه.

هذا من ناحية ، و من ناحية أخرى يمكن تأويل "الخطيئة " بارتباط دلالتها "بالخطيئة الأولى " خطيئة " **آدمية الرحيل عن الجنان** "[2] التي تحتل مكانة بارزة في الإنعطاف بمصير الكائن البشري ، حينما أغوى الشيطان آدم و حواء بعد أن كانا ينعمان في الجنة و يتمتعان بكل الملذات فأخرجهما مما كانا فيه ، و هذا ما نجده في قوله تعالى :﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ **سورة البقرة(٣٤-٣٥)**، فالله عز و جل حذر آدم من ارتكاب الخطيئة و قد وظفه الراوي دلالة على ان إرتكاب المعاصي و الخطايا سيؤدي بالإنسان إلى الهلاك و الضيق في الدنيا و الآخرة لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ **سورة طه (١٢٤)** ، فلا يستطيع الإنسان أن يعيش مرتاحا منعما و مكرما إلا في كنف سيعيش حياة ضائقة مليئة بالأسى و الألم .

وظف الراوي آدم و عيسى عليهما السلام لوجود أوجه تشابه بينهما و هناك تماثل كبير، حيث أن كل منهما كل واحد منهما أتى هذا الوجود بطريقة تختلف عن باقي البشر و كلاهما دون أب و كلاهما نفخ الله فيه من روحه ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ **سورة آل عمران (٥٩)**.

---

[1] - **علاوة كوسة:** خطيئة مريم، دار الراوي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2017، ص111.

[2] – **المصدر نفسه:** ص43

ب- دلالة اسم " مريم " :

عنوان مريم الذي يفتح فضاء دلاليا شاسعا حين يستدعي إلى الذهن من الذاكرة وعلى الفور السيّدة البتول/ مريم العذراء ابنة عمر عليهما السلام؛ والذي اقترن به نبي الله عيسى بن مريم فسمي به في محكم التنزيله (القرآن)، مريم التي كان ميلادها معجزة لقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ **سورة آل عمران (٣٦).** وكذلك ولادتها معجزة ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾**سورة مريم (٢٠-٢١).**

مريم التي طهرها المولى عز وجل واصطفاها على نساء العالمين﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ **سورة آل عمران (٤٢).**

مريم التي اتهمت هي وابنها عيسى عليهما السلام بالأولهية ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ ﴾**سورة المائدة (١١٦).**

فمن هي مريم في رواية " علاوة كوسة"، والتي تتمثل مفتاح وعتبة الدخول إلى عالمه الروائي، وما هي أوجه الشبه بينها وبين ما يستدعيه هذا الاسم إلى الذهن من الذاكرة مريم « عذراء ارهقها السؤال وأحطتها الخطيئة من كل لسان وفتى، نبيا متعبا وقد أخطأته كل الرسالات والمرسلون!! كنت بينكم يومها وكان علي أن أقول شيئا، يدهشكم، يغريكم... يريحكم، بربككم لكنها كان يحتاجان إلى ملاك أطهر مني وشيطان أدهد مني... كانت العذراء يومها، وكان الفتى..وكنت أنا والمنادي وكنتم جميعا وقلوبكم شت!! وكانت حكاية

الزيتونة المباركة والنخلة العاقر أعلم أنه سيأتي عليا حين من الدهر ولن نكون شئ مذكورا»[1].

علاوة كوسة ربط اسم مريم بواقعه الذي يعيش فيه، والجامعة خصوصا، تلك الطالبة الجامعية المتعبة المثقلة بالأسئلة التي تعاني من نظرة المجتمع القاسية والحاقدة فكلتاهما تشتركان في نفس النقطة فمريم العذراء عليها السلام أنجبت المسيح عليه السلام ومريم في الرواية أنجبت عيسى فكلا من مريم العذراء ومريم في الرواية ارتكبت خطيئة في نظر المجتمع فمريم في الرواية جسدت واقع مريم العذراء عليها السلام.

وقد وظف علاوة كوسة شخصية مريم عليها السلام في روايته بهدف ايصال رسالة إلى المجتمع، فمريم العذراء هي رمز للطهارة والعفّة ومريم في الرواية هي حلقة وصل بين الخطيئة والمجتمع فنظرة المجتمع للمرأة نظرة دونية تخصها وحدها بالخطيئة.

2. في تأويلية التراث الديني:

يعد الموروث الديني أول المصادر التي يركز عليها الادباء في إبداعاتهم كما يعد المصدر الأساسي لفهم كل ما هو معاصر حيث يعتبر القرآن الكريم الركيزة الأساسية والمرجع الأول الذي يستند عليه الروائيين والشعراء لبداية كل عمل أدبي فنجد "علاوة كوسة " قد استلهم مجموعة من الشخصيات الدينية والآيات القرآنية في روايته خطئية مريم.

أ- الشخصيات الدينية:

وظف علاوة كوسة مجموعة من الشخصيات الدينية مستعينا بالخطاب الشعري مستندا على لغة القرآن فكان لها دور في اضفاء الحيوية على هذه التجربة مما أكسب المعنى عمقا وتفاعلا وهذا يعكس مدى وعي الراوي بتجربتها ودلالتها الرمزية.

[1]- **علاوة كوسة:** خطيئة مريم، ص: 12-13.

فاستحضر الشخصيات الدينية التي تجسدت في الرواية وهي:

- ✓ **مريم عليها السلام:**

استحضر علاوة كوسة شخصية مريم عليها السلام من القرآن الكريم باعتبارها شخصية رئيسية تمحورت حولها جلّ الأحداث، ونجد ذلك متجليا في قوله:« قصف الرعد فجأة، تنهدت الريح، لمع البرق تبللت المسكينة الصامتة، ازداد وجه الفتى ضياء وغضبا!! ومازالت تنظر إلى السماء، ومازال ينظر إليها، وسيظل الجمعان ناظرين إليهما تحت جذع النخلة المباركة التي لم تؤت أكلها منذ أُرتُكبت الخطيئةُ الكبرى[1]!! »

وفي هذا المقطع نجد الراوي استحضر مريم العذراء التي جاءها المخاض إلى جذع النخلة عند ولادة عيسى لكي يظهر الله عز وجل معجزته فيطمئن قلبها لقوله تعالى ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣﴾ **سورة مريم (٢٣).**

فقط ربط الراوي بين جذع النخلة في الرواية وجذع النخلة في القرآن الكريم لأن كلاهما كانا شاهدين على حادثة غير عادية وغير مألوفة، ويصف لنا وقائع تلك الحادثة بأنها مزالت « تنظر إلى السماء، ومازال ينظر إليها، وسيظل الجمعان ناظرين إليها تحت جذع النخلة المباركة التي لم تؤت أكلها منذ ارتكبت الخطيئة الكبرى !!»[2]

ففي هذا المقطع نجد هناك تقاطع بين مريم في الرواية ومريم العذراء عليها السلام التي خافت من الفضيحة فتباعدت عن أعين الناس وعندما جاءها المخاض إلى جذع النخلة خافت وتمنت لو أنها ماتت قبل هذه الحادثة وكانت نسيا منسيا فلا يذكرها أحد بارتكابها للخطيئة.

---

[1]- **علاوة كوسة:** خطيئة مريم، ص: 09.

[2]- **المصدر نفسه**، ص: 09.

ومن الصور التي احتضنتها ذاكرة الراوي كذلك صورة مريم العذراء للتعبير عن همومه واحزانه ورغبته في الخلاص من خلال توظيفه لاسم مريم وكذلك جذع النخلة الذي يحيلنا لقوله تعالى:﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥ ﴾**سورة مريم (٢٥).**

فهو تعبير تجسيدي لوعي الراوي بإحساسه بالاغتراب الذي يدفع به نحو الذاكرة ليجسد انفعالاته متخذا من سورة مريم رمزا لوحدته واغترابه عن أهله خاصة أن بين حاله وحالها شبه كبير، فالعذراء اعتزلت في مكان بعيد عن أهلها فأصبحت وحيدة وغريبة وهذا ما حصل مع الرّاوي الذي يعيش بعيدا عن وطنه.

إن مشاعر الغربة والشعور بالوحدة والعزلة يؤثر على نفسية الراوي ويغذي أفكاره ويشحن رؤيته بمزيد من الدلالات والمعاني فلم يكتف الراوي بنص الرواية فقط وإنما أضاف النص الشعري لكي يضيف دلالة جديدة مما يتناسب مع ذلك في قوله:

أنا ما ادّعيت نبوّة ..

لكنّما النخلات حينز تمايلتْ ..

و توجّعتْ ...

كانت عرا جين الأسى قدَّ المقامْ ..

وحبيبتي

إذْ تستظلّ بجذعها

ظلّت تصوم عن الكلامْ ..[1]

[1]– **علاوة كوسة:** خطيئة مريم، ص: 137.

ففي هذا المقطع الشعري وعند قراءتنا لهذه النماذج يتداعى إلى ذهننا النص القرآني الذي يقوم على مخاطبة مريم لتقوم بهزّ جذع النخلة كي يتساقط عليها رطبا جنيا، حيث نلاحظ أن الرّاوي وظّف في النص الشعري فعل " تمايل"، "توجع " وكلاهما يدل على الحركة فالحركة عنصر فعّال في النص حيث تبث فيه الحيوية والاستمرار.

وفي قوله:« ظلّت تصوم عن الكلام » يحيلنا لقوله تعالى:﴿ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦﴾ **سورة مريم (٢٦)**، فمن خلال هذه الآية الكريمة نجد أن مريم قد أمرت بالأكل والشرب، فإذا رأيت أحدا من البشر يكلمك أو يسألك عن شيء من أمر ولدك فقولي إنّي أوجبت الصيام على نفسي لله صمتا فلن أكلّم أحدا من بني آدم اليوم، فسبب أمر الله لها بالصوم عن الكلام لأنه لم يكن لها حجّة ظاهرة عند الناس وذلك لأنها جاءت بولد وهي عزباء وقد جعل الله تلك الآية لمريم وابنها.

فالرّاوي من خلال توظيفه" لصمت مريم" أراد أن يعكس معاني التحدي على الواقع الراهن فيعتقد أن الكلام لا يجدي نفعا، فصمته هو المجيب الوحيد الذي تصغي لنداءه العقول، فالفعل " تصوم" يدل على الاستمرارية كأن الراوي يريد أن يستمر في صمته ويرفض الكلام وهذا الصمت يوحي بمظاهر الاغتراب الروحي.

وفي معنى آخر لتوظيف الآية الكريمة القائمة على مخاطبة مريم لتقوم بهز جذع النخلة كي يتساقط عليها رطباً جنياً، فالبلاد العربية حزينة وجريحة وضعيفة كضعف مريم الجسدي، التي تعالج ضعفها بهز جذع النخلة ليكون سبب في نجاتها، والفعل " **هزي** " في الآية القرانية تقوم على فعل الأمر المسند الى ياء المخاطبة، فالراوي بتوظيفه لنخلة يطلب من الشعوب العربية أن يعملوا ويهزوا النخيل ليتحصل على الحرية والأمان، فالنجيل رمز لشموخ والصمود والانتماء الى الوطن ونيل الحقوق بعد بذل الواجبات.

وفي خطابه غير المباشر للقدس من خلال توظيفه لمريم العذراء ففيها يحث الراوي المدينة الجريحة ألا تنتظر الخير من الزعماء والقادة ولا من قممهم المنعقدة هنا وهناك، ففي مقارنة عجيبة يستلهم الراوي قصة مريم عليه السلام العذراء التي جاءها المخاض الى جذع النخلة فنداها سيدنا عيسى عليه ألا تحزن وان تهز بجذع النخلة كي يتساقط عليها رطبا جنيا لقوله تعالى: ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ ﴾ **سورة مريم (٢٤)**، فالقدس حزينة وجريحة وضعيفة كضعف مريم العذراء، وقد أمرها الله عز وجل بهز جذع النخلة لكي تعالج ضعفها ولا تيأس وتستخدم ما تبقى من قوة من أجل نجاتها وإنقاذ حياتها .

وفي مقطع آخر يوظف الراوي فواتيح السور" ألف–لام– ميم" في نصّه الشعري قائلا:

المقطع الأول:

...ألفٌ .. و لامْ ..

والميمُ في عيْنِ الذي قد أنطقوه بمهده

قطعتْ يدي

وتحمّلتْ عبءَ الصيامْ !!!

والمقطع الثاني:

وَلدي تكلّمْ ..

وَلدي تكلّمْ

قل لهمْ:

إنّي أناك ..

إني الشّريفةُ والعفيفةُ والملاكْ ..

إني الكسيرة .. والأسيرة

والرّزينة في ارتباكْ[1]

وهذه الحروف" ألف"-" لام"-" ميم" تبين مدى تأثر الراوى بفواتح السور مثل" البقرة"-" مريم"... وغيرها الكثير من السور وهذه الحروف لا يعلم معناها إلا الله.

وفي المقطع الثاني نلاحظ قلق مريم والحيرة التي انتابتها عند مواجهتها لأفراد قومها وهي حاملة معها طفلها وهي عذراء لم تتزوج وتطلب من ابنها التكلم ليظهر براءتها وعفافها في قوله:« عذراء أرهقها السؤال وأحاطتها الخطيئة من كل لسان، وفتى بينا متعبا وقد أخطأته كل الرسالات والمرسلون!! »[2]

فالراوي اختار اسم مريم لأنه يريد البوح عن معاناته وينفس عن نفسه حيث تراوده الاسئلة في المجتمع فهو يحتاج اللى راحة نفسية لأنه عاش الفقد والشوق والحزن والألم فقد اغترب عن بلدته حيث يرى نفسه مظلوما في هذا المجتمع، وذلك يتجلى في قوله: « لو تيتحون لي فرصة البوح مرة في العمر لأزلت الغشاوة عن عينين كفيفتين، وتحدثت بصدق حسير، وأقنعتكم- ربّما- بما لم أستطع قوله»[3] وفي هذا المقطع نجد أن الرّاوي يريد البوح والإفصاح عمّا يختلج في نفسه فهو يعيش حالة من الصراع النفسي، فالراوي من خلال استحضاره لمريم العذراء أراد من خلالها الهروب من الواقع فالكلام الذي لم يستطع البوح به في الواقع جسّده في الرّواية من خلال توظيف شخصية مريم عليها السلام.

---

[1]- **علاوة كوسة:** خطيئة مريم، ص 138.

[2]- **المصدر نفسه**، ص 12.

[3]- **المصدر نفسه**، ص12.

كما أن الراوي يعيش حالة من التشتت والضياع فابتكر استراتيجية في توزيع وتجزئة الأحرف عموديا في قوله:

سكت الكلاااااام

سكت الكلاااام

س ..

ك ..

ت ..

ا ..

ل ..

ك ..

ل ..

ا ..

م ..[1]

استطاع الراوي من خلال المقطوعة السابقة أن يسكب نصّه قوة وعمقا ودلالة أكثر تأثيرا ليثبت حالته النفسية حيث لم يعد يستطيع التحدث، فالحالة النفسية للرّاوي تتطابق مع حالة مريم فكلاهما لم يستطعا البوح بما يختلجهما.

[1]- **علاوة كوسة**: خطيئة مريم، ص 137-138.

فالرّاوي من خلال استحضاره لمريم العذراء وكذا جذع النخلة يسعى للكشف عن رؤيته للأوضاع السائدة في المجتمعات التي تحدث العرف وكسرت حواجز العادات والتقاليد حيث أصبح الأفراد ينقادون لشهواتهم ورغباتهم الجنسية التي توقعهم في ارتكاب خطيئة العمر.

- ✓ **عيسى عليه السلام:**

احتلت شخصية المسيح عيسى بن مريم في رواية علاوة كوسة مساحة واسعة عن طريق توظيف اسمه واستدعاء معجزته وقد ظهرت أولى معجزاته عليه السلام بعد ولادته عندما تكلم في المهد ليظهر براءة والدته وعفافها فيقول شكرا « **لمن كلمونا في المهد** »[1] وهذا ما يحيلنا لقوله تعالى: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِۖ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ۝٢٩ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۝٣٢﴾ **سورة مريم (٢٩-٣٢)**

ولا يوجد دليل أقوى من أن يتكلم طفل وهو لم يزل في المهد ويجيبهم على تلك الاتهامات والافتراءات.

إن شخصية عيسى عليه السلام بما تحمله من معاني الرحمة والشفقة وما صاحبها من معجزات لفتت انتباه الراوي الذي وظّفه باعتباره الشخصية الرئيسة، فاسحا لها مجالا يستهلهما فيه، مستغلا شخصية سيدنا عيسى عليه السلام من أجل ابراز الصفات والمواقف الدالة على الحزن والألم والشوق والفقدان، فقد ركز علاوة كوسة على صورة المسيح مصلوبا فيقول:

لا وقتَ لي ..

كي يصلبوني مرتين

[1]- **علاوة كوسة: خطيئة مريم** ، ص 50.

فمرةً ..

في جبّتي إثمي ..[1]

فالراوي استحضر سمة من سمات المسيح وهي "الصلب"، فقد صلب مرّة ولا وقت له كي يصلب مرة أخرى فالراوي اتخذ من شخصية عيسى رمزا للتعبير عن حالته النفسية ولذلك فهو المصلوب، ففي « **حكاية المسيح في الأناجيل الأربعة متى ومرقس ولوقا ويوحنا**»[2] يصفون فيها صلب المسيح وحسب معتقدهم أن المسيح عيسى هو ابن الله نزل ليضحي بنفسه للتكفير عن خطيئة البشر "خطيئة آدم عليه السلام" الذي أكل من الشجرة فاستحق القصاص الإلهي فقدم المسيح فداء لخطيئة بشرية وعذّب وصلب، فشخصية عيسى ليست بعيدة عن شخصية الراوي فعيسى الذي عاش منفردا معزولا بسبب قومه الذين تخّلوا عنه حين صلبوه وكذلك الراوي الذي انعزل بعيدا عن وطنه وأهله وأحبائه.

إن الراوي الذي يرى الواقع متهما مدانا، فلم يستطع أن يكابد هذا الألم فهرب إلي العاطفة ما أدى به إلى تقمص شخصية عيسى فهو مصلوب مثله حتى « **صارت بعض المرويات تقنعني بأن المسيح لحظه صلبه كان هناك ملاك يقويّه ويشجعه!! فمن لي في هذا الصلب الأبدي كي يؤازرني ويقويني؟!!**»[3] وهذا التقمص أدى به إلى الهروب من الواقع الأليم إلى ذات أخرى ترفه عنه وتنسيه آلامه، فهو مثل المسيح يحتاج إلى من يقوّيه ويشجعه، فهو يرى نفسه مصلوبا أبديا وهذه الرؤية ناجمة عن الشعور بالخيبة وعدم القدرة على المقاومة فآثر الانفصال والهروب والاغتراب.

تقمص الراوي " علاوة كوسة" شخصية المسيح عيسى عليه السلام فهو يتحدث بلسانه مصوّرا صورته، مستمدا منها دلالات تتصل بالتجربة الشخصية، فهو يتحدّث بصوت

---

[1]- **علاوة كوسة:** خطيئة مريم، ص140.

[2]- **المصدر نفسه**، ص 107.

[3]- **المصدر نفسه**، ص 108.

المسيح ليعكس صورته كأنه هو المصلوب حتى« **صارت قضيّة الصلب تلفني حرزا !! كل الذين خالفوا تيار الأغلبية ونواميس الأرض صلبوا !!**» [1] ولا يخفى على الأذهان قصة سيدنا عيسى عليه السلام وإدعاء اليهود بأنهم صلبوه حيث يتخفّى علاوة كوسة وراء شخصية عيسى ويحكي قصته ومعاناته من خلالها.

استوحى الرّاوي قصة سيدنا عيسى عليه السلام لها وجد في أجوائها مجالا رحبا للتعبير الوجداني عن الأمة وقوة معاناته، فعيسى عليه السلام معادل رمزي للراوي علاوة كوسة الذي ويكابد مرارة الواقع. وقد تمكن علاوة كوسة من مزج شخصية عيسى في نصه الروائي.

- ✓ **نوح عليه السلام:**

استحضر الراوي علاوة كوسة شخصية النبي نوح عليه السلام الذي يرمز للبحث عن المصير والهدف، وقد ارتبط اسمه ارتباطا وثيقا بالسفينة والركوب على ظهر« **الفلك مثنى مثنى**»[2]. وهذا ما يحيلنا لقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ﴾ **سورة هود(٤٠).**

فالله عز وجل أرسل نوحا إلى قومه فأخذ يدعوهم رغبا ورهبا يقول الله عز وجل ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ **سورة العنكبوت (١٤).**

ولم يزد عدد المؤمنين بدعوته في تلك المدة وإنّما ازداد عدد الكافرين المعاندين والساخطين عليه، مع ذلك ظلّ نوح عليه السلام يدعو قومه ويصبر عليهم حتى جاء أمر

[1]- **علاوة كوسة:** خطيئة مريم، ص 108.

[2]- **المصدر نفسه**، ص09.

الله عز وجل ببناء السفينة لقوه تعالى:﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٢٧ ﴾**سورة المؤمنون (٢٧).**

فأمر الله عز وجل نوحا أن يصنع السفينة ويحمل من كل زوجين اثنين فوظف علاوة كوسة الإشارة القرآنية(السفينة) في قوله:

أنا ما أدّعيت نبوّة

لكنّني لما ركبتُ سفينتي

وحدي ..

وكانوا كلّهم مثنى ..

ذكرتُ أحبّتي ..

أبكي..

تضاحكت الجراح بمدمعي

ولمحتُ أحلامي يلملمها الحطامْ[1]

فالراوي أراد من خلال استدعائه لشخصية نوح عليه السلام والدلالة عليه بالسفينة ليعبر من خلالها عن رغبته في النجاة و فوز الخير على الشرّ، فهو يرى نفسه وحيدا في هذا العالم، وكلهم مثنى، حيث يؤمن بمصير الإنسان المحتوم مع من يحب لقوله تعالى: ﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ١١٩ ﴾ **سورة الشعراء (١١٩).**

[1]- **علاوة كوسة:** خطيئة مريم، ص 136.

فالراوي علاوة كوسة يروي لنا أحداث حياته واشتياقه لأحبته واختلاط جروحه بالدموع التي كانت تنتابه.

✓ **يوسف عليه السلام:** من الشخصيات التي أوردها" علاوة كوسة" شخصية يوسف عليه السلام، فقد جاءت قصته في القرآن الكريم في سياق واحد غير متقطع، وهي تمثل نموذجا متكاملا لفن القصة في القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ ﴾ **سورة يوسف (١١١)**، والقرآن الكريم كتاب دعوة دينية والقصة احدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبتها شأنها في ذلك الصور التي يرسمها للقيامة والنعيم والعذاب.

فقد بنيت قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم على رؤياه تلك الرؤيا التي قادته لأن يكون وحيدا في رحلته، بعيدا عن والده و أهله، ومن خلال استحضار الراوي " علاوة كوسة" لرؤيا يوسف وإخوته بنص قوله تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ٤ ﴾ **سورة يوسف (٤)**، فأمره سيدنا يعقوب أن يبقى «**تفاصيل الرؤى سرا** »[1] ولا يخبر إخوته بها، وهذا ما يتجلى في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥ ﴾ **سورة يوسف(٥)**، فكانت تلك الرؤيا سببا في إيقاظ شعور الحسد والغيرة في نفوس إخوته، وقد تجلى كره إخوته له على حجة أن أباهم يحب يوسف أكثر منهم فتخلصوا منه برميه في « **جب عميق** »[2] وجاؤوا أباهم بقميص « **ذات دم كذب** »[3] مدّعين أن يوسف أكله الذئب وهذا ما يحيلنا لقوله تعالى: ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨ ﴾ **سورة يوسف (١٨)**، فيوسف عليه السلام الذي تخلى عنه إخوته وقرروا نفيه، وألقوه في الجب بات وحيدا والمخاوف تراوده من

[1]- **علاوة كوسة:** خطيئة مريم، ص134.

[2]- **المصدر نفسه** ص 145.

[3]- **المصدر نفسه**، ص 151.

كل جانب، فكان ملجأه الوحيد هو الله لقوله تعالى: ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ١٠ ﴾ **سورة يوسف(١٠).**

فالراوي يحاول إيصال رسالة هدفها الكشف عن المعاناة التي كانت تراوده والهموم التي كانت تنتابه وأن لا ملجأ ولا معيل إلا الله فشخصية يوسف عليه السلام خير تمثيل للواقع الذي يعيشه الراوي.

فما كان رد يعقوب عليه السلام بعد أن ألم به الحزن إلا أن قال:« **فصبر جميل والله المستعان** »[1] بقي ينتظر وصول « **الذئب، ذلكم الأرحم من إخوة مرّوا في الحياة كاذبين ليعرف أن ذئابا كثيرة من بني البشر لا تليق بهم براءته ووداعته** »[2]

بات يوسف عليه السلام رمزا للاضطهاد والظلم الذي مارسه عليه أخوته لذلك إتخذ علاوة كوسة من قصة سيدنا يوسف عليه السلام وسيلة ليعبر من خلالها خذلان الأخوة العرب الذين تركوا الشعب الفلسطيني وحيدا في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي وصمتهم كان عاملا أساسيا في مواصلة هذا الاضطهاد الذي يؤرق الراوي.

فشخصية يوسف عليه السلام خير تمثيل لواقع الشاعر، فبعد أن كبر يوسف عليه السلام ازداد جمالا، فزليخة التي« راودتني عن صمتي»[3] و « غلقت الأبواب »[4] والتي تحيلنا لقوله تعالى: ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ ﴾ **سورة يوسف (٢٣)**

---

[1]- **علاوة كوسة:** خطيئة مريم ، ص147.

[2]- **المصدر نفسه**، ص 10.

[3]- **المصدر نفسه** ، ص 10.

[4]- **المصدر نفسه**، ص 97.

فحينما يقول الراوى " راودتني عن صمتي " فهو الذي يراوده الصمت والكتمان والحزن وفي قوله " غلقت الأبواب " دليل على أن الراوي منغلق على نفسه وحيدا يلفه الحزن من كل مكان.

« **فشهد شاهد** »[1] من أهل زليخة أنه لو« **مزقت قمصان... من أمام** » [2] فصدقت وهو من الكاذبين وإذا مزّق القمصان من وراء فكذبت وهو من الصادقين وفيها إشارة لقوله تعالى:

﴿ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٧ ﴾ **سورة يوسف (٢٦ -٢٧).**

وحينما انتشر أمر زليخة « **قال النسوة في المدينة** »[3] زليخة تراود فتاها عن نفسه وهذا ما يحيلنا لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٠ ﴾ **سورة يوسف (٣٠).**

أنا لست يوسفَ يا أبي ..

أنا لست يوسفَ يا أبي

مذْ مُزّقت قمصانُ أمّي من أمامْ ..[4]

[1]- **علاوة كوسة: خطيئة مريم**، ص201.

[2]- **المصدر نفسة**، ص 134.

[3]- **المصدر نفسه**، ص137.

[4]- **المصدر نفسه**، ص 134.

يستدعي الراوي علاوة كوسة في هذه المقطوعة الشعرية قمصان يوسف عليه السلام الذي يحمل بين طياته المعرفية دلالات متعددة، جسّدت حشدا من الرؤي التي رافقت الحالة الفلسطينية والعربية الراهنة والتي عبّر عنها من خلال لفظة " الأم "، فهو يدين التآمر والخيانة والتطبيع في العلن وأمام مرأى الجميع، فالقضية الفلسطينية هي قضية كل المسلمين

يستبطن الراوي من خلال هذه المقطوعة ليخرج عن مكبوتاته النفسية ومعاناته من واقع مؤلم، فالقيم استحالت إلى عامل هدم، والوطن الذي رمز له بلفظة " الأم " هدمت فيه القيم والأخلاق ومزقت أمام مرأى الجميع.

استمد علاوة كوسة بعض مادته الروائية والشعرية من قصة يوسف عليه السلام في كثر من الأحيان وتعامل مع شخصية يوسف بأشكال مختلفة فوظفها في مجموعة الشعرية قائلا:

قد مر عامٌ ثم عامٌ... ثمّ عاااااااااامْ..

سبع عجافٌ

ما ترى يا صاحبي يوم التقى الجمعان

يسأل بعضُهم بعضا

تفاصيل الرّؤى سرّا

فجندّ خلفَ أسوار المدينة

لا ينامْ[1]

[1]– **علاوة كوسة:** خطيئة مريم، ص134.

تحيلنا لفظتي " **سبع عجاف** " " **الرؤى سرا** " إلى سورة يوسف عليه السلام والتي تتجلى في قوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَايَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ٤٣ ﴾ **سورة يوسف (٤٣)** استلهمها الروائي علاوة كوسة ووظفها في سياق جديد، سياق الغربة ولحظات الطفولة التي عاشها استنزفته جسديا ومعنويا حيث لجأ لتوظيف شخصية يوسف عليه السلام ليبرز من خلالها همومه وأحزانه ومعاناته التي كان يريد البوح بها فهي تحمل دلالات رمزية متصلة بالواقع مما جعل الصورة بالغة التأثير في النفس.

لقد تحوّلت الألفاظ في النص الشعري إلى إشارات انفعالية، ترتبط كل منها برصيد من التجارب والمواقف الشعرية، والراوي عندما حشد هذه الألفاظ اللغوية الموحية، إنما عمد إلى إثارة ما يرتبط بها من رصيد انفعالي وتوتر حاد، فالألفاظ اللغوية في النص الشعري فارقت دلالاتها المقصودة إلى دلالات جديدة معاصرة.

الجب ⟵ رمز للسجن

الأخوة ⟵ رمز للغدر والخيانة

الذئب ⟵ رمز للبراءة

زليخة ⟵ رمز للسلطة

الملك ⟵ رمز للسلطة

فكل دلالات هذه الرموز توحي بأن الراوي في صراع مع واقع استبدادي، يدعي المحبة والأخوة، وهو على عكس يمتهن الغدر والخيانة، فالراوى بذلك يحاول أن ينفي عن نفسه الاتهامات الموجهة إليه وما يوحي إلى ذلك دلالة الجب فبراءة الراوي لا تختلف عن براءة الذئب من دم سيدنا يوسف عليه السلام.

✓ **هابيل وقابيل:**

إن الصراع بين الحق والباطل جسدته القصص الدينية والأحداث التاريخية التي رافقتها، فوردت ثنائية قابيل وهابيل في القرآن الكريم اللذان مثلا « **أول طعنة ... في الأرض**»[1] فهما أخوان من أبناء آدم عليه السلام الذي قتل أحدهم الآخر، ف« **كلاهما يريد من الآخر أن يعترف .. أن يقول .. أن يبرر.. أن يواري سوءة الآخر .. وخطيئته !!** »[2] فقابيل رفض الزواج بأخت هابيل، فقدّم كل من قابيل وهابيل قربانا إلى الله تعالى فتقبل الله قربان هابيل لصدقه وإخلاصه، ولم يتقبل قربان قابيل لسوء نيته وعدم تقواه وهذا ما تجسد من خلال قوله تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ ﴾ **سورة المائدة (٢٧) .**

غضب قابيل وتوعّد أخاه بالقتل، فقتله وبقي محتارا في جثته وإذ به « **يصل الغراب الحكيم ليتأكد أن للسنن عودا** .. »[3] وقد بعثة الله تعالى ليبين لقابيل كيف يواري سوءة أخيه، ومن هنا بدأت سنة الدفن.

من خلال توظيف علاوة كوسة لحادثة قتل قابيل لأخيه هابيل التي مثّلت أوّل خطيئة في الأرض مارسها الإنسان ضدّ أخيه الإنسان فهي ثنائية سلبية ثائية الجلاد والضحية، وهنا يتعايش الحق والباطل الخير والشر بحيث تتجاور كل هذه القيم في مجتمع واحد فقد أعاد الراوي الخطيئة الأولى لتخليد بشاعتها الحاضرة بقوة في زماننا.

ففي جملة « **أول طعنة تلقيتها في الأرض** » يتقمص فيها علاوة كوسة صوت الضحية هابيل الذي أراد من خلاله أن يعلى صوته وينفس عن آلامه وأوجاعه من خلال تحريك وجدانه ومشاعره والتقليب في ذاكرته عودةً به إلى جرحه الأول.

---

[1]- **علاوة كوسة:** خطيئة مريم، ص88.

[2]- **المصدر نفسه**، ص 10.

[3]- **المصدر نفسه**، ص09.

✓ **محمد صلى الله عليه وسلم:**

استدعى الراوي علاوة كوسة شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال الإشارة إلى حادثة شق صدر الرسول صلى الله عليه وسلم في طفولته عند مرضعته حليمة السعدية، حيث طهر الله تعالى قلبه من الأضغان وملأه بالحكمة والنور والإيمان، الذي يتخلى في قوله :

أنا ما ادّعيت نبوّةً

لكنّ مرضعتي الحنونَ

– لحاجة في نفسها –

قد فكّرت في شقّ صدري

و اجتثات أحبّتي

قبلَ الفطامْ ..[1]

الراوي علاوة كوسة ينفي عن نفسه ادعاء النبوة على لسان عيسى، في قوله « **أنا ما ادّعيت نبوّةً** » فالراوي يحس بأن هناك رابط بين تجربته وتجربة الأنبياء، فكل من النبي والشاعر يحمل رسالة إلى أمته لذلك فعلاوة كوسة يستعير شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ليعبّر من خلالها عن بعض أبعاد تجاربه المعاصرة.

أما عبارة " **شق صدري** " مستوحاة من حادثة الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث أن **أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم أَتَاهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ. فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً. فَقَالَ: هذَا حَظُّ**

[1]– **علاوة كوسة:** خطيئة مريم، ص 135.

الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ. ثُمَّ لأَمَهُ...، أراد الراوي من خلال المقطوعة أن يثبت أنه لا يحمل أي بغض ولا حسد، جسده في صورة فنية دمجت في شكل قالب واحد.

كما يستحضر الراوي علاوة كوسة حالة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد نزول الوحى بتوظيفه لكلمة " دثريني " وهي عبارة وردت على لسان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لزوجته خديجة رضى الله عنها بعد نزول الوحى لأول مرة، والتي استبشرت أنه سيكون نبئ الأمة من خلال قوله:

أنا ما أدّعيت نبوّة

لو أنّ سمرائي تدثرتي

إذا ما الثَلج لفّ جوانحي [1]..

فالراوي من خلال هذه المقطوعة الشعرية يتمنى لو يجد من يحويه لأن نفسيته كانت مضطربة من الوحدة التي كانت تنتابه وتؤرقه.

كما وظف لفظتى " الثلج " و "الجوانح " فكلاهما يدلان على الموت بما فيهما من وحدة وبرودة للجسد بعد موته.

فاتخذ علاوة كوسة من شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم موقفه الشعوري ومعاشه الروحية، وهذا من شأنه أن يجعله أكثر وعي بطبيعة هذه التجربة وإدراكا لملامحها وخصوصياتها ويتجلى ذلك في قوله « **علي لا ألقاهم بعد عامي هذا** »[2] وفيه إشارة إلى خطبة حجة الوداع التي قال فيها الرسول صلى الله عليه وسلم " لعلي لا ألقاكم بعد عامي

[1]– **علاوة كوسة:** خطيئة مريم، ص 135.

[2]– **المصدر نفسه**، ص 31.

هذا" حينما حج حجته الأخيرة ودع فيها النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين بكلمات مؤثرة ومخزنة تلين لها القلوب وتدمع لها العيون، فكذلك الراوي يودع أهله وأصحابه بلفظة تحمل بين طياتها دلالات دينية وهي حجة الوداع.

ب- النص القرآني:

يعدّ القرآن الكريم مصدرا هاما يستند إليه الشعراء والروائيين ويقتبسون منه لأنه يمثل عطاءً متجددا للفكر والشعور الإنساني فاستحضار النص القرآني في النص الروائي يعطي تميزا ودلالات متعددة انطلاقا من مصداقية الخطاب القرآني وقدسيته وإعجازه فهو كلام الله الذي لا يعلوه أي كلام آخر.

حيث دمج علاوة كوسة النص القرآني في روايته في قوله: « **ومضت عليه أيام عسيرة زلزلت روحه** »[1] تحيلنا لقوله تعالى: ﴿ إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١﴾ **سورة الـزلزلة(١)** ، ففيها عبر الراوي عن معاناته وأوضاعه القاسية التي زلزلت روحه بما فيها من أثر كبير على نفسيته، فبها يسري عن نفسه ثقل الحياة بزلزلة الأرض التي تزلزل نفسه وتخرج ما بداخله من أثقال وهموم، فالراوي يعيش حالة من الهم والغم وأيام عسيرة تؤرقه وتتعبه لدرجة أن هذا الهم زلزل كيانه وقد يكون همّ الشاعر من هم الأمّة وتشتتها.

ويستحضر علاوة كوسة سورة الفيل مستفيدا من قصة أصحاب الفيل ليبز العذاب الذي كان ينتابه في قوله « **بحجارة من سجيل** »[2] وهذا ما يحيلنا للآية الكريمة من سورة الفيل قوله تعالى: ﴿ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ۝٤ ﴾ **سورة الـفيل (٣ - ٤).**

---

[1]- **علاوة كوسة:** خطيئة مريم ، ص103.

[2]- **المصدر نفسه** ، ص 09.

ويستحضر الراوي عبارة "تقلب وجهك في السماء" التي تحيلنا لقوله تعالى ﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ١٤٤ ﴾ **سورة البقرة (١٤٤)**، فتوظيف لهذه الآية الكريمة من أجل البحث عن الإجابة عن الأسئلة التي كانت تتعبه وتراوده فهو مرهق يحتاج إلى معرفة الحقيقة.

ويستحضر الراوي في قوله « **بردا وسلاماً** »[1] قوله تعالى: ﴿ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ ﴾ **سورة الأنبياء (٦٩)**، والتي يوجه بها الله سبحانه وتعالى النار أن تكون لردا وسلاما على إبراهيم عليه السلام وقد وظفها علاوة كوسة في الرواية حتى تمرّ عليه المعاناة والآلام والهموم التي يعيشها ببرد وسلام.

استفادت الرواية العربية والجزائرية خصوصا من التراث الديني وهذا يعود لميل المجتمع الجزائري للجانب الديني، السبب الذي دفع الروائي الجزائري علاوة كوسة لاستحضار التراث الديني (المتمثل في الشخصيات الدينية والآيات القرآنية)، فهو متعلق بتعاليم الدين الحنيف وهي الصبغة التي أضافت للرواية بعدا اسلاميا ، ولقد كان لثقافته الدينية أثر واضح في تكوين شخصيته الثقافية والفكرية.

[1]– **علاوة كوسة: خطيئة مريم**، ص 52.

II. التراث الشعبي:

يعد توظيف التراث الشعبي في النصوص الأدبية ظاهرة بالغة الحضور، حيث غدت المساحة النقدية تعجّ بها، الأمر الذي دفع دارسي الأدب لتوليه الاهتمام به والبحث عن جماليات توظيفه في مختلف الأجناس الأدبية.

وإذا ما عدنا إلى رواية خطيئة مريم فنجدها تمحورت فيها العديد من الأجناس نذكر منها:

1. الأغاني الشعبية:

تعتبر الأغنية الشعبية لونا من ألوان التعبير الشعبي، وهي وليدة الشعب حيث تنقل لنا مختلف المكبوتات التي يترجمها الإنسان الشعبي على شكل أهازيج موسومة بطابع شعبي، والتي تأتي على لسان الفرد للإفصاح عن همومه، فهي بوابته للولوج إلى العالم الخارجي بما أنها تتغنى كما يهمّ الشعب.

ومن النماذج التي أوردها علاوة كوسة في رواية خطيئة مريم نذكر:

أ- الأغنية الشرقية:

« مِشْ كُلَّ اللّي بِنْحِبُهُمْ

هيْكُونُوا لِينا

ولا كُلُّ اللّي بنحبهم

لا يقين علينا

.....

«.....»[1]

إن تداخل مقاطع الأغنية الشعبية في النص الروائي تحمّل النص الجديد معاني ودلالات جديدة فعند قراءتنا لهذه الأغنية يتبادر إلى الذهن الأغنية الأصلية التي حوّر الراوي كلماتها ليعبر عن موقفه الشعوري، والتي جاءت ألفاظها كالآتي:

مش كل اللى بنحبهم ها يكونوا لينا

ولا كل اللى بنحبهم لا يقين علينا

ممكن نلاقى اللى يا ما حلمنا بيهم

ويلاقونا ما نلاقش الحب فيهم[2]

وقد تجلت مظاهر الحزن لدى الراوي علاوة كوسة من خلال هذه الأغنية الشعبية التي عكست الأبعاد النفسية التي يعيشها، ليعبر من خلالها عن مشاعره وأحاسيسه، فليس بالضرورة كل ما هو محبّب لنا في الحياة سيكون من نصيبنا، بل الأقدار هي التي تسير منحى حياتنا، وهذا ما فيه إشارة لقوله تعالى:﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦ ﴾ **سورة البقرة (٢١٦)**

[1]– **علاوة كوسة:** خطيئة مريم، ص18.

2. الأمثال الشعبية:

لقد نالت الأمثال الشعبية رصيدا أكبر في الروايات على غرار الأنواع الأخرى الشعبية (الألغاز الشعبية – الأغنية الشعبية)، حيث قامت بدور مهم في إضفاء السمة الإبداعية في الرواية، وظلّت رافدا ثري يستحضرها علاوة كوسة في نسيج النص الروائي.

فالمثل الشعبي يعدّ من أهم العناصر الشعبية التي تقدّم خدمة لتجارب المجتمع وخياراته وتعبّر عمّا تزخر به النفس من علوم وحقائق واقعية بعيدا عن الخيال والوهم.

ويتجلى ذلك في رواية " خطيئة مريم" من خلال المثل الشعبي الجزائري الذي تحتفظ به الذاكرة الشعبية وتستحضره في السياقات المناسبة للدلالة على رسوخ ومكوث الأصيل والنافع في مكانه وفي ترتبه وما سواه يذهب ويزول وهذا ما ينطق على المثال الشعبي « **ما يبقى في الوادي غير حجارة** »[1] وظف الراوي علاوة كوسة هذا المثال الشعبي للدلالة على الثبات والسكون والرسوخ لأن " **الواد** " يرمز الى الماء والماء يحمل دلالة الحياة والاستمرارية فاتخذ علاوة كوسة من هذا المثال رمز للبقاء والدوام وعنوانا على الاصالة.

استغل الراوي علاوة كوسة هذا المثال وصاغه في نصه ليعبر به عن الذكريات التي تؤجج مشاعره المرتبطة بالألم والقهر والذي يتجلى في قوله: « **لكن حبات المطر حجبت دموع علاء لولا احمرار العينين الذي فضحه !!؟**»[2]

3. اللهجة العامية:

وظف الراوي علاوة كوسة في روايته بعض المفردات التي تدل على اللهجة العامية باعتبارها نوعا فنيا يستمد من الشعب بمختلف فئاته بحيث تعبر عن ذوقه ومشاعره والتي

---

[1]– **علاوة كوسة:** خطيئة مريم، ص 35.

[2]– **المصدر نفسه**، ص35.

تعكس ثقافته، فهي لغة الإنسان التي فطر عليها و أعتاد الكلام بها حيث يستعملها عامة الناس للتّواصل فبساطة اللهجة وسهولة فهمها دفع الراوي للاستعانة بها في مواضع مختلفة نذكر منها:

« **أهلا حبيبي مروان** »[1] فلفظة أهلا تدّل على الترحيب والضيافة والمجاملة فهي كلمة أصلها كلمة فصحى ووظفها الراوي في سياق عامي.

« **آه ... مروان ...**»[2] أراد الراوي من خلال لفظة " **آه** " لفت الانتباه والتحسر.

« **بخير .. هم يسلمون عليك .. وأنت كيفك ؟** »[3] كلمة" كيفك " كلمة عامية ومعناها السؤال عن الأحوال (كيف الحال)

« **يارب يعطينا نيتكم** »[4] وظف الراوي هذه العبارة للدلالة على الدعاء.

« **الحمد لله يا وليدي** »[5] لفظة " **الحمد لله** " تدل على الثناء والحمد .

« **إيه يا أستاذة..**»[6] تكرر لفظة " **إيه** " في عدة مواضع وقد قصد بها الراوي نعم يا أستاذ.

« **آه .. ما أعذب صوتها .. وآداءها !!!** »[7] فهذه اللفظة " آه " تدل على شدة الإعجاب من جمال صوتها ويقابلها في الفصحى « **ما أجمل صوتها !** »

---

[1]- **علاوة كوسة:** خطيئة مريم، ص 17.

[2]- **المصدر نفسه**، ص 17.

[3]- **المصدر نفسه**، ص 110.

[4]- **المصدر نفسه**، ص37.

[5]- **المصدر نفسه**، ص 36.

[6]- **المصدر نفسه**، ص147.

[7]- **المصدر نفسه**، ص 159.

إن بعض الألفاظ العامية، التي وظفها علاوة كوسة أصلها فصحى لكن الراوي استعملها استعمالا عاميا وهذا يدل على مدى تعلقه وقربه لكل ما هو موجود داخل بيئته الاجتماعية بما لها من طابع شعبي، فالأشكال التعبيري الشعبية جسر نعبر من خلالها إلى أعماق الإنسان ونكشف مكبوتاته.

4. القصص الشعبية:

إن لكل شعب وشريحة من المجتمع موروث إنتاجي خاص يتشكل من عدد كبير من الحكايات المعبرة والمتنوعة الناجمة عن أحوال وأحداث سالفة أو آنية، وقد وظف "علاوة كوسة " في روايته مجموعة من القصص الشعبية من بينها "**ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة ورسالة حي بن يقضان و الشاهنامة وفروسيتها**".

وهذه القصص تحوي شخصيات ضخمة ذات دلالة غنية ونظرا لأهميتها وثرائها بالشخصيات فقد تواصل بها الشعراء والروائيون بحيث لا يخلو أي نص روائي من هذه القصص.

تعدّ القصص الشعبية نموذجا فلكلوريا للشرق عامة وللعرب خاصة وتعد من المصادر المهمة فهي مجموعة من القصص الشعبي العربي بلغة بين الفصحى والعامية.

نلحظ مما سبق أن التراث الشعبي قد أثبت حضوره بمميزاته الفنية والشعبية على مستوى النص الروائي كونه مستمدا من عمق أصالة المجتمع فالموروث الشعبي بمختلف أنماطه من أشعار حكايات خرافية، وأمثال وممارسات شعبية . تأثر بالمجتمع و سيرورته، بحيث نلاحظ أن علاوة كوسة حاول اثراء المادة التراثية كمصدر ثقافي، فقد أراد تقديم الصورة الثقافية للمجتمع، انطلاقا من التراث، الذي يحمل في طياته أثرا ثقافيا يساعده في الكشف عن الوحي الحضاري والفكري والذي يمثله المجتمع في الرواية.

III. التراث الصوفي:

اتسمت رواية خطيئة مريم لعلاوة كوسة بالعديد من الرموز الصوفية، حيث توجه فيها الراوي إلى التصوف للهرب من واقع مادي واجتماعي وسياسي مأزوم، وبحثا عن عوالم أكثر روحانية وشفافية وصفاء، فالتصوف عنصر مهم من عناصر التجربة الروائية تتعالق وتتقاطع فيه كلا التجربتين الصوفية والمعاصرة وهذا ما أكده صلاح عبد الصبور بأن « كلتا التجربتين الصوفية والمعاصرة تبحثان عن غاية واحدة وهي العودة بالكون إلى صفائه وانسجامه»[1] إذ أن هناك علائق وشيجة بين كلتا التجربتين الإبداعيتين الصوفية والرواية المعاصرة، حيث شكلت هذه الأخيرة مجالا ملائما لموقف الرفض والتضحية مما جعل الراوي يلجأ إليها كي يعبر عن مكنوناته وذلك باستحضاره للقوالب الصوفية، نذكر منها :

1. تجليات المصطلح الصوفي: وكما هو معلوم أن لكل علم مصطلحاته التي تعتبر مفاتيح دراسته وفك شفراته لفهمه واستيعابه، سنتعرف على بعض المعاني الصوفية الموظفة في الرواية:

- ✓ **الولي:** «هو من تولى الله أمره بالخصوصية مع مشاهدة أفعال الحق سبحانه وصفاته، وقد يجهل الولي شيئا من أحكام الشريعة المطلوبة في حقه ولا يعرفها إلا بالتعلم والسؤال ولا تفاض من غير تعلم غلا على النادر من العارفين»[2]
- ✓ **الشيخ:** «هو الذي رفعت له جميع الحجب عن كمال النظر إلى الحضرة الإلهية نظرا عينا وتحقيقا يقينيا»[3] فالشيخ عند الصوفية لا بد أن يكون على علم بدين الله وأن يجمع إلى علمه صفات خاصة تؤهله لأن يكون مربيا، وقد وظفه الراوي من أجل

---

[1]– **صلاح عبد الصبور**: حياتي في الشعر، دار العودة، بيروت، ط1، 1996، ص 119.

[2] – **أيمن حمدي**: قاموس المصطلحات الصوفية دراسة تراثية مع شرح اصطلاحات أهل الصفى من كلام خاتم الأولياء، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، د.ط، 2000، ص96 .

[3]– **المصدر نفسه**، ص69 .

- ✓ **التجلي:** «هو الظهور والتجلي بالأسماء الإلهية يكون لكل عارف على قدر مرتبته، والفرد الجامع هو المحيط بجميع ذلك، والعارف يرى في نفسه أن ليس ثم غيره يتجلى بتلك السمات والصفات إلا هو»[1]
- ✓ **مقامه الزكي** : وهو ما تحقق به العبد بمنازلته من الآداب وهو أيضا ما يتوصل إليه بنوع من التصرفات وشرطه أن لا يرتقي من مقام لآخر ما لم يستوف أحكام ذلك المقام.

- ✓ **المرآة:** تعبر عن أحوال الشهود التي يرى فيها العارف الحقائق التي تنزاح عنها الحجب، فوظفها علاوة كوسة ليصور بها حالته النفسية.

وجد الراوي في التجربة الصوفية ملاذا يستجير به من واقع مادي يريد النيل من روحه وعقله، فاستفاد منها، وكذا من معانيها ولغتها النورانية والثقافية حتى تكون منطلقا للتعبير عن التجارب الإنسانية المختلفة التي يعيشها .

استعار الراوي من الصوفيين قوالبهم الروحية واللغوية من خلال استحضار بعض رموزهم وشخصياتهم ليعبر بذلك عن تجربته ورؤيته الخاصة .

2. الشخصيات الصوفية:

- ✓ **الحلاج***: أشار الراوي إلى شخصية الحلاج وذلك من خلال ألحانه ومواجيده التي عبر فيها عن صلته بالله، بتعبيرات حارة ملتهبة تضج بوجوده وتنبض بفناء ذاته، وتدندن بالقرب الذي يبيح له أن يتكلم بلسان الحقيقة فيقول فيه:

---

[1]- **أيمن حمدي:** قاموس المصطلحات الصوفية دراسة تراثية مع شرح اصطلاحات أهل الصفى من كلام خاتم الأولياء، ص49 .

*– اسمه الكامل أبو المغيث الحسن بن منصور المشهور بالحلاج، ولد في إيران سنة 858، من أسرة عربية عريقة، شاعر ومتصرف، لقب بالحلاج نسبة إلى ابيه الذي كان يشتغل بصناعة الحلج، توفي (922).

لا وقت لي حتى أصير نبيكم ..

كل الذي في جبتي.. في لحظتي..

جرح قديم..

لا يموت.. ولا ينام ..[1]

ففي قول الرواي " كل الذي في جبتي في لحظتي" يحيلنا إلى قول الحلاج " ما في الجبة إلا الله" وقد استحضر شخصية الحلاج ليعبر عن حزنه، ذلك الحزن القديم المقيم الذي ملأ نفسه، فكل اللحظات التي يعيشها يلفها حزن لا ينجلي ولا ينام. إن تجربة الحزن في الرواية أضافت إلى التجربة الروائية آفاقا جديدة زادتها ثراء وخصبا.

كما وظف قصة "صلب الحلاج" الذي اعدم بسبب آراءه وأفكاره ومواقفه مما أثر على الراوي حتى « صارت قضية الصلب تلفني حزنا!! كل الذين خالفوا تيار الأغلبية ونواميس الأرض صلبوا!! قبل يومين قرأت حكاية صلب "الحلاج"!!»[2] باستحضاره لقضية صلب الحلاج إنما أراد من خلالها الراوي علاوة كوسة إظهار معاناته ومكابدته لواقع يضيق عليه حريته ويمارس سلطة القهر والكبت ومصادرة الكلمة « حتى أنهم حرمونا حقنا في السعادة والحياة والمناصب العليا والحساسة في الدولة»[3] وهذا ما جعله يرفض هذا الواقع ويثور عليه، ويحلم بواقع آخر تتحقق فيه رؤاه وأمانيه.

- ✓ **رابعة العدوية:** وظفها الراوي من أجل ابراز المتاعب التي يعانيها في سبيل حبه للذات الإلهية، فرابعة أشهر النساء الائي عرفن بالزهد وقد عزفت عن الحياة الدنيا وتقشفت وتنسكت، وتعبدت الله، حتى دخلت إلى مرحلة الحب الإلهي لا يشغلها

[1]- **علاوة كوسة:** خطيئة مريم، ص 141.

[2]- **المصدر نفسه**، ص 108.

[3]- **المصدر نفسه**، ص 109.

شاغل عن الله فهي لا تحس إلا بجلاله سبحانه وتعالى، تغيب عمن حولها لانشغالها بالذات العليا، فالحب طريقه شاق ومليء بالصعاب التي يجتهد الراوي لتجاوزها من أجل إرضاء الذات العليا.

- ✓ **ابن عربي:** هو شيخ الصوفية الأكبر وفيلسوفها الأول فكان يصدح في سماء الروح ويغرد في عوالم النفس، وله أشعار كثيرة يستغرقها حب الله، فهو وحده الجمال الحقيقي الجدير بالحب، فالراوي من خلال استحضاره لهذه الشخصية إنما يستجيب إلى وجيب القلب وهمهمات تجري في النفس.

وظف الراوي هذه الشخصيات في هذا المنحى من أجل أن تكون منفذا إلى عالم خاص به أملا في الخلاص وبحثا عن ملاذ روحي يعوض ذلك الإحباط والانهزام النفسي.

خاتمـــــــــة

ومن خلال هذا البحث الموسوم بـ: "تجليات التراث في رواية خطيئة مريم" لعلاوة كوسة والذي من خلاله توصلنا إلى محاولة معرفة كيف تجليات التراث وحرصه على رسم عدة رموز ودلالات مختلفة، وقد توصلنا إلى جملة من الاستنتاجات أهمها:

- يحمل التراث عدة أشكال من أهمها التراث الديني الشعبي والصوفي.
- اهتم علاوة كوسة بـ "التراث الديني"، وذلك بسبب سعة ثقافته الاسلامية وصلته المتينة بها.
- إن مظاهر التراث الديني في رواية" خطيئة مريم" تنوعت ما بين استحضار (شخصيات دينية، وآيات قرآنية) فهذا الاستحضار لم يكن عبثا في روايته، بل شكل منعطفا حاسما ليعبر من خلاله عن استحضار الماضي في الحاضر وإثراء ابداعاته.
- حرص الراوي على استحضار الموروث الشعبي في روايته فوظف (الأغاني، الأمثال، الحكايات) ومن خلال هذا الحضور عالج فيه همومه وأحزانه ، مما أكسب البناء الفني دلالة أوسع.
- رسم الراوي في روايته أبعادا اجتماعية عالج من خلالها رؤيته تجاه الأوضاع السائدة في المجتمع الجزائري.
- مزج علاوة كوسة في رواية "خطيئة مريم" بين نثر وشعر مما نتج عنه تداخل الأجناس الأدبية الذي أضاف إلى الرواية دلالات فنية جديدة.
- الروائي عاش الفقد والشوق والحزن والألم الذي جسده في روايته من خلال استحضار التراث .
- سجل التراث الصوفي حضورا مكثفا في الرواية وتعددت مما أكسبها المتعة .
- إن مجمل ما وظفه الراوي في الرواية يعكس تجربته الصوفية وما يختلج في نفسه من أحزان وآلام وكذلك التعبير عن مدركاته الروحية.

- اهتم علاوة كوسة بالتراث الصوفي في وصفه شكلا من أشكال الثقافة المكونة للفكر الإسلامي مما غذى شعوره بروح التميز والاختلاف، وذلك لتوغله العميق للفكر الصوفي.

ملحـــــــــق

نبذة عن حياة الروائي علاوة كوسة:

اسمه الكامل علاوة كوسة بن الصغير، واسم شهرته علاوة كوسة، جزائري الجنسية ولد عام 19-11-1976م، في قرية رمادة عين الحجر ولاية سطيف في الجزائر، تحصل على دكتورا الأدب العربي " كلية الآداب واللّغات جامعة ميلة " ووظيفته الحالية أستاذ محاضر بالجامعة[1].

فهو شاعر وقاصٌ وروائي، له مقالات نقدية وقراءات أدبية، وهو من منظمي الملتقى التأسيسي لرابطة القصة القصيرة في سطيف، تحصل على العديد من الجوائز من بينها: المرتبة الثانية في مسابقة الشارقة للمسرح في دورتها السابعة عشر لموسم 2014.

له عدة إصدارات شعرية وقصصية ونقدية وفي الشعر له: " ارتعاش المرايا " و " تهمة المتنبي ".

وفي القصة له: " أين غاب القمر؟ " و " هي البحر ".

وفي النقد: " أوراق في الأدب الجزائري ".

وفي المسرح: "بين الجنّة والجنون ".

وفي الرواية: " أوردة الرخام " و " بلقيس (بكائية آخر اللّيل) "

[1]- علاوة كوسة الصغير: سيرة ذاتية، الأدب العربي الجزائري، تاريخ الإطلاع: 2021/05/25 على الساعة 10:50، أنظر الرابط: https://alarabiahunion.org/علاوة-كوسة

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

المصادر

1. **علاوة كوسة** :خطيئة مريم، الراوي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2017.

المراجع

2. **الأزهري أبو محمد بن أحمد:** تهذيب اللغة، تح: إبراهيم الأبياري، ج15، دار الكتاب.
3. **حسن علي المخلف:** التراث والسرد، وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر إدارة البحوث والدراسات الثقافية، ط01، 2010.
4. **حميد لحميداني:** القراءة وتوليد الدلالة (تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، ط1، 2003، ص295.
5. **رمضان الصباغ:** في نقد الشعر العربي المعاصر، دراسة جمالية، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2002
6. **سعيد يقطين:** إنفتاح النص الروائي (نص- السياق) المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1989.
7. **صلاح عبد الصبور:** حياتي في الشعر، دار العودة، بيروت، ط1، 1996.
8. **عبد الله الغذامي:** الخطيئة والتكفير(من البنيوية الى التشريحية)، النادي الثقافي الأدبي، السعودية، جدة.
9. **عبد الله الغذامي:** الخطيئة والتكفير(من البنيوية الى التشريحية)، النادي الثقافي الأدبي، السعودية، جدة.
10. **غالي شكري:** التراث والثورة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1973.

11. **محمد رياض وتار**: توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، إتحاد كتاب العرب دمشق، 2000.

12. **محمد عابد الجابري**: التراث والحداثة، دراسات ومناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1991.

13. **مدحت الجيار**: الشاعر والتراث لدراسة في علاقة الشاعر العربي بالتراث، دار الوفاء للدنيا، مصر،الإسكندرية.

14. **مطاع صفدي**: استراتيجية التسمية، في نظام الأنظمة المعرفية، منشورات مركز الإنماء القومي، بيروت، ط01، 1986.

المعاجم والقواميس

15. **إبراهيم مذكور**: مجمع اللغة العربية، دار مكتبة الشروق الدولية، معجم الوسيط، ، د.ط، 2008.

16. **ابن منظور**: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مجلد 2 ،ط02، 1992.

17. **أيمن حمدي**: قاموس المصطلحات الصوفية دراسة تراثية مع شرح اصطلاحات أهل الصفى من كلام خاتم الأولياء، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، د.ط، 2000.

18. **جبور عبد النور**: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1984.

19. **مجد الدين يعقوب الفيرور آبادي**: القاموس المحيط، تدقيق محمد نعيم العرقوسوسي، مجلد1، ط8، دمشق، سوريا، 1998.

20. **مجدي وهيبة**: كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984.

21. **محمد الزبيدي:** تاج العروس من جواهر القاموس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت (لبنان)، ج1، فصل الهمزة من باب اللام، د.ط، .د.ت

المجلة

22. **إتفاقية حماية التراث الثقافي غير المادي اليونسكو:** التراث الثقافي السوري، الأمم المتحدة، بيروت، 2018.

23. **طلال معلا:** التراث الثقافي غير المادي، تراث الشعوب الحي، مركز دمشق للأبحاث والدراسات، سوريا، العدد04،2003.

24. **علي عفيف علي غازي:** التراث المادي والمعنوي ، تاريخ الاطلاع 2021/04/15، على ساعة 13:45، https://fikrmag.com/article_details.php?article_id=316

المواقع الإلكترونية

25. https://xpredo.com/lyric/346

26. https://alarabiahunion.org/علاوة-كوسة

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات	
شكر وتقدير	
مقدمة	أ
الفصل الأول: في ماهية التراث	**05**
I. مفهوم التراث.	**05**
1. لغة.	05
2. اصطلاحا.	06
3. مفهوم التراث في النقد العربي المعاصر.	08
II. عناصر التراث	**09**
1. التراث المادي	09
2. التراث غير المادي (المعنوي)	09
III. التراث والرواية	**11**
1. علاقة التراث بالرواية	11
IV. التراث والتأويل	**12**
الفصل الثاني: تجليات أشكال التراث في رواية " خطيئة مريم " – لعلاوة كوسة–	**15**

I. التراث الديني	**15**
1. قراءة تأويلية لعنوان الرّواية استنادا لقصّة مريم عليها السلام	15
2. في تأويلية التراث الدّيني	19
II. التّراث الشعبي	**40**
1. الأغاني الشعبية	40
2. الأمثال الشعبية	42
3. اللهجة العامية	42
4. القصص الشعبية	44
III. التراث الصوفي	**45**
1. تجليات المصطلح الصوفي	45
2. الشخصيات الصوفية	46
خاتمة	**50**
ملحق	**53**
قائمة المصادر والمراجع	**55**
فهرس الموضوعات	**59**

ملخـــص

تعد الرواية من الأجناس الأدبية التي مثلت التجربة الإنسانية في حياتهم الواقعية المعيشة، ذلك أن الروائيين تجاوزوا القالب التقليدي للرواية إلى ابتكار نموذج يحتوى الوقائع الممزوجة بالخيال، حيث نجد الروائي علاوة كوسة من بين الكتاب الذين استهوتهم الكتابة حول قضايا المجتمع ومشاكله، فاتخذ من رواية " خطيئة مريم " فضاء للحديث عن الابن غير الشرعي، وكذا معاناة المرأة الفاقدة لشرفها في وسط مجتمع كان ولا يزال ينظر إليها نظرة دونية تجعلها مهمشة، بغض النظر عن التهميش الذي يعانيه الابن بين الأفراد، فكانت هذه الرواية نموذجا للكشف عن مجموعة من الرؤى التي تجسدت من خلال استحضار التراث بكل أنواعه.

Abstract :

The novel is considered one of the literary genres that represented the human experience in their real-life living, because the novelists went because the traditional template of the novel to create a model that contains facts mixed with fiction, where we find the novelist Allaoua koussa among the writers who were attracted to writng about society's issues and problems, so he took from Mary's sin novel A space to talk about the illegitimate son, as well as the suffering of the woman who lost her honor in the midst of a society that was and still has an inferior view that makes her marginalized, regardless of the marginalized, regardless of the marginalization that the son suffers from among individuals, so this novel was a model for revealing a set of visions that were embodied by evoking the heritage in all Its types.